# النّمطُ الإلزاميّ للاقترانِ التّركيبيّ والاختيار

أ.م.د حسام عدنان الياسري
جامعة القادسية / كلية الآداب

م.م. مرتضى هاتف بريهي
جامعة القادسية / كلية الآداب
Murtadahh44@gmail.com

**ملخص البحث**

درستُ في هذا البحث مسألة الاقتران بين الألفاظ داخل التركيب وفقاً للتقارب بين الحقول الدّلاليّة، ومن ثمّ حددتُ إلزامية الاقتران التركيبيّ، والقيود التي تحكم هذا الاقتران من النّاحية الصّرفيّة والنّحويّة والمعجميّة للتعبير عن قصدية المتكلم من دون إخلال بالأنظمة اللغوية، ثمّ بينتُ إلزامية الاقتران في المستويين الصرفي والنحوي بدرجة كبيرة، في حين وجدتُ أن الاقتران المعجميّ يتمتع بمرونة؛ لكنه خاضع لضوابط أيضاً ذكرها اللسانيون، لذلك انطلقت منها لمقاربة الخرق أو الانزياح أو المجاز عن الاقتران المعجمي المعهود بين الحقول الدلالية المتقاربة، وهدف هذا الانزياح أو المجاز عن الاقتران المعجمي الذي يلتزم بحدود الاقتران المألوفة في الاستعمالات اللغوية، ونظرتُ في مسألة "الاختيار" التي يتمتع بها المتكلم في اختياره للمفردات اللغوية في أثناء الكلام، والضوابط التي يخضع لها في أثناء الاختيار، وخروجه عن ضوابط الاقتران المعجمي وتعلق هذا الخرق لإلزامية الاقتران بجوانب دلالية وجمالية، الجوانب الدلالية تتعلق بالتوليد الدلالي وبالتعبير عن بعض الأحاسيس والمشاعر بتراكيب مجازية جديدة، والجوانب الجمالية تتعلق باللغة الشعرية التي تؤثر في مشاعر السامع ، وتحاول أن تبهره عبر جماليات التراكيب اللغوية.

**الكلمات مفتاحية :** النمط الإلزامي، الاقتران، القصدية، الاختيار المعجمي، الخرق، الانزياح، التركيبي.

**Abstract**

In this research, the question of conjugation between semantics was examined according to the proximity of the semantic fields, and then the binding of the syntactic fields was determined, and the constraints governing this pairing in morphological, grammatical and lexical terms to express the intention of the speaker without violating the linguistic systems. While it was found that lexological conjugation was flexible; but it was subject to controls also mentioned by the Lassonians, so I set out to approach the breach, displacement or metaphor for the lexical conjugation between the convergent semantic fields, A distinction or a metaphor for lexical conjugation that adheres to the familiar boundaries of conjugation in previous linguistic uses, and considers the question & choice of the speaker in his choice of vocabulary during speech, the controls he undergoes during selection, and his departure from the lexical union controls. With semantic and aesthetic aspects, the semantic aspects relate to semantic generation and the expression of some feelings and feelings in new metaphoric structures. The aesthetic aspects are related to the poetic language that influences the feelings of the listener and tries to impress him through the aesthetics of the linguistic structures.

**Key words** : Mandatory mode , Pairing , Intentional , Lexical selection , Displacement.

**النمط الإلزامي للاقتران التّركيبيّ والاختيار**

في البدءِ لابدّ من الإشارة إلى أنّ المتكلمَ يخضعُ لأنظمةٍ لغويّةٍ في أثناءِ إنشاءِ الكلامِ تلفظاً أو كتابةً ، وتتمثّلُ هذه الأنظمة في ثلاثةِ أنظمةٍ :

أولاً : الأنظمة التّركيبيّةُ في بُعْدَيهَا الصّرفيّ والنّحويّ، وكلُّ تغيّرٍ في الصيغةِ الصرفيّة يُؤدّي إلى تَغيّرٍ في المعنى والقصدِ، وكذلكَ في المستوى النّحويّ؛ إذ إنّ التقديمَ والتأخيرَ يُؤدّي إلى التّغييرِ في دلالةِ التّركيب، والإخلالُ بالأنظمةِ التركيبيّةِ يَجْعلُ الجملةَ غيرَ مقبولةٍ تركيبياً ؛ فالأنظمةُ التّركيبيّةُ إلزاميةٌ للمتكلمِ مع بعضِ الحريةِ التي يتضمنُها النّظامُ التّركيبيّ، وفي بعضِ الأحيانِ تمتنعُ هذهِ الحريةُ كما في مسألةِ الرُّتبةِ أو الموقعِ التّركيبيّ ((فقدْ تقولُ ضربَ يحيَى بُشرَى، فَلا تجدُ هناكَ إعراباً فاصلاً، وكذلكَ نحوه، قيلَ : إذا اتّفقَ ما هذهِ سبيلُهُ، مما يخفَى في اللّفظ حالُهُ، ألزِمَ الكلامُ تقديمَ الفاعلِ، وتأخيرَ المفعولِ، ما يقومُ مقامَ بيانِ الإعرابِ، فإنّ كانتْ هناكَ دلالةٌ أخرى من قِبَلِ المعنى رفع التّصرف فيهِ بالتّقديمِ والتّأخيرِ؛ نحو : أكلَ يحيى كُمَّثْرى: لكَ أنْ تقدمَ وأنْ تُؤخرَ كيفَ شئتَ))[1]، فسبب إلزامِ المتكلمِ بتقديمِ الفاعلِ حتى يُوصلَ قصديّتَهُ للسّامعِ دونَ لبسٍ.

ثانيا : نظام الاقتران المعجميّ : فاختيار المتكلم من معجمه (الذهني) في تكوين الجمل خاضع لنظام تعاقدي عرفي اجتماعي يلزمه بقرن الألفاظ مع حقلها الدّلاليّ المحدد، فمثلا لو اختار الفعل (نعق) لارتبط ذهنيا ب(الغراب) وليس ب(العندليب) ؛ مع ذلك قد نجد خرقاً لهذا النظام عبر ما يسمى بـ(الانزياح)[2] أو (المجاز) ؛ ومع ذلك لابدّ من غرض لهذا الخرق على مستوى الاختيار والاقتران بين الحقول المعجمية المختلفة .

ثالثا: الأنظمة الثقافية والاجتماعية ، يتوجب على المتكلم مراعاة الأنظمة الثقافية والاجتماعية في أثناء الكلام ؛ لأنّ منظومة اللّغة هي منظومة اجتماعية في الوقت نفسه،[3] لذلك تختلف صفة الكلام من الاحاديث الرسمية إلى الاحاديث غير الرسمية، وكذلك بين الجد والهزل والسخرية ، واختلاف دلالة العبارة تبعا لذلك، وكذلك يتوجب على المتكلم مراعاة سياقات المقامات وحالة المخاطب والظروف القولية.

ويظهر لنا هنا مفهوم (الالزام النمطي coercionde type)[4] وهو الالتزام بالنمط الاقتراني للألفاظ، لتحديد الانحراف عن قواعد وانظمة الاقتران التركيبية ، فاللغة لا تسمح بخرق أنظمتها في المستويات اللّغويّة؛ وإنما يخضع لها الأفراد، مع بعض الحرية في استعمال الألفاظ من حقول دلالية مع حقول دلالية أخرى؛ لأسباب تتعلق بالمعنى والجمالية اللّغويّة.

**حدود الاختيار في أثناء الكلام :**

هنا لابدّ من مناقشة مسألة الاقتران بين المفردات ومدى إلزامية نظام الاختيار المعجميّ* للمتكلم في أثناء إنشاء الكلام مراعيا الأنظمة التركيبية ومقتضيات المقامات ؛ لأنّ لـ((كل لغة أبنية وتراكيب تمثّل وسائل تعبيرية لها وظائف في الكلام، وهذه الأبنية، أو التّراكيب اختيارات متاحة أمام متكلم اللّغة يختار منها بحسب الموقف الذي يريد التعبير عنه، ولكن بحدود النظام، ومقتضيات الغاية))[5]، فالاختيار له حدود سواء على مستوى التّركيب النّحويّ أو الصّرفيّ أو المعجميّ، ويبدو الاختيار للمفردات على مستوى الاقتران المعجميّ فيه بعض التوسع والتجديد بعكس النظامين النّحويّ والصّرفيّ الصارمين .

ويخضع الاختيار من المعجم لقيدين في أثناء التكلم وبناء القصديّة فيه هما :

أ- قيد الانتقاء : ويقتضي هذا القيد مراعاة الملاءمة بين اللّفظ والمعنى من جهة أخرى وضم المفردات بعضها إلى بعض من جهة ثانية حتى نتحصل في الأخير على قراءة مفيدة للمتواليات في الجملة.[6]

ب- قيد الادماج : ويقتضي مراقبة الخصائص التركيبية لكل مفردة ومدى انتظامها مع غيرها من المفردات ومع المحلات المالئة لها.[7]

وبذلك تكون وظيفة قيد الانتقاء منع المتكلم من انتاج جمل شاذة دلالياً، إذ العبرة ليست في ترتيب الألفاظ كيفما أتفق،[8] وانما وفق قصدية دلالية ، مع مراعاة القوانين التركيبية وقيد الادماج المتعلق بالملاءمة بين المفردات.

ويذهب بالمر إلى أنّ نظرية الحقول الدّلاليّة تولي أهمية كبيرة للعلاقات التلاؤمية القائمة بين الألفاظ، مثل يصرخ [انسان]، و ينبح [كلب] ...الخ[9] فالألفاظ تقترن مع بعضها على أساس الترابط الدلالي بين الحقول المعجمية القائم على التلاؤم، ووفقاً لهذه العلاقة التلاؤمية بين المفردات تتكون قيود الادماج في الجمل، هذه العلاقة الاقترانية بين المفردات تنبثق من التواضع اللّغويّ، إذ ((يعود الاقتران في كل لغة إلى اتفاق convention أو اصطلاح المتكلمين باللغة والذين يمكنهم التنبؤ بهذا الاقتران من خلال الكلمات الاقترانية collective words ))[10]، وبحسب ريفاتير فإنّ((احتمال الورود " Dccurence" في السلسلة المكتوبة يتغير تبعاً لمختلف المركبات فمن الممكن توقع المركبات اللاحقة بقدر كبير أو قليل من الدقة انطلاقاً من أحد عناصر الجملة))[11]، ومعنى ذلك أنّ السامع كالمتكلم خاضع لفكرة الاقتران بحيث أنه يتوقع اللّفظ الثاني بعد لفظ اللّفظ الاول بناء على معرفته باللغة ، فلو لفظ المتكلم كلمة (صهل) سيتبادر لذهن السامع أنّ فاعلها(حصان) .. وهكذا.

ويمثل بالمر بالجملة غير المكتملة :

شرب محمد ...

فيرى أنّ المتكلم يفترض في الكلمة أنْ تكون "مفعولاً" من ناحية نحوية ، ومن سماتها الدّلاليّة (سائل) و (حقيقي)، ويرى أنّ هذه الحدود هي "حدود الاختيار"؛ لأنّ الجملة التي لا تُراعى فيها هذه الحدود ، ولا تأخذ بحدود النحو لا تقبل دلالياً أو نحويا ،[12] وفي المبحث الثالث ستكون لنا وقفة مع المقبولية في الكلام.

ويسمي بالمر (الاقتران) بالمصاحبة اللفظية collocation،[13] والمصاحبة اللفظية هي التي تفرض على المتكلم الالتزام بها نحو :[14]

- قطيع غزلان.
- وسرب نحل.

ويتسع مفهوم "الاختيار" فيشمل طريقة التأليف بين الكلمات المختلفة ضمن الجملة الواحدة ، ولا يحد من هذه الحرية إلا قواعد النحو، فيضيق المجال قليلاً أمام المبدع ولكن حريته في التأليف بين الجمل هي من أوسع الحريات، إذ إنها لا تخضع للنحو، بل لقوانين التماسك الفكري،[15] وبذلك يخضع المتكلم لصرامة النظام النّحويّ الصّرفيّ؛ لكنه يجد مساحة وحرية في التعبير عن أفكاره باختيار الألفاظ وضم بعضها لبعضها الآخر وفقاً لما يراه أقرب لقصديته التي يسعى إلى ايصالها للسامع.

وعلى الرغم من أنّ الفرد لا يستطيع تغيير المنظومة اللّغويّة المعمول بها في المجموعة اللّغويّة؛ وإنما يجب عليه قبول المواضعات والقواعد؛ ليتسنى له المشاركة في عملية الاتصال؛[16] فبإمكانه أنْ يخرق بعض الجوانب في المنظومة اللّغويّة ببعديها المعجميّ والاجتماعي؛ إذ إنّ ((أبناء اللّغة الواحدة في الصيغة الصوتية والصيغة النحوية متساوون (أو يفترض أنْ يكونوا كذلك)، ولكنهم متفاوتون في مسألة "الاختيار" الذي يتم بينهما، لأنّ جانب الاختيار جانب إبداعي، وهو

غير محصور لأنّ إمكاناته لا يمكن حصرها ، وهو متجدد أبداً باستعمال اللّغة لا ينفد ولا ينتهي ، يختلف فيه متكلم عن آخر))[17]، و((إنّ الاختيار هو شيء يتيحه غنى اللّغة وامكانياتها وكذا عرفُها))[18] ، فالقواعد النحوية يمكن حصرها وتقنينها وكذلك الصيغ الصّرفيّ، وقد تم ذلك بالنسبة للغة العربية، أما المفردات ودلالاتها في المعجمات فعلى الرغم من كثرة المعجمات العربية وموسوعيتها إلا أنّها لم تحط بجميع الاستعمالات ودلالات الألفاظ الحقيقية والمجازية؛ لانفتاح الاستعمال واستمرار التوليد الدّلاليّ من عصر إلى عصر آخر، وقد أشار لهذه المسألة الدكتور محمود السعران حينما تحدث عن المجاز وتوليد الدّلالة حين قال ((ليس من اليسير أنْ يحصر قاموس مجازات اللّغة كلها إلا إذا أحصى كلام المتكلمين في جميع أحوالهم ، وفي جميع عصور اللّغة وتوهم ما سيخلقونه من ألوان المجاز، وهذا مستحيل من غير شك))[19]، وبذلك نكون أمام حرية للاختيار المعجميّ في أثناء إنشاء الكلام ؛ لكنها حرية مشروطة بين استعمال الاقتران الحقيقي أو المجازيّ (( فإذا قلنا – مثلا – "طار الطائر" فإنّ هذه الجملة أكثر صحة من جملة "طار القلب" ، وذلك لأنّ (طار) إحدى خصائص (الطائر) لأنها من مجموعة المفردات التي تصنف في تصنيف يستجيب استجابة عرفية وضعية مع مجموعة المفردات التي جاءت منها كلمة (الطائر) ، وكلمة (الطائر) إحدى خصائص (طار) ليست من خصائص (القلب)، ولا (القلب) من خصائص (طار)، ولذلك تتابعت هاتان الكلمتان ضد قوانين المفردات الخاصة))[20]، وهذا يدل على أنّ هناك حدودا واضحة للاقتران الحقيقي عن الاقتران المجازيّ، مع الفارق والمفارقة التي يتضمنها الاستعمال المجازيّ كما في المثال السابق ، حينما ينسب صفة الطيران للقلب.

وكلما كان الاقتران غير مألوف ومخيب للتوقع تزيد الاعلامية ، بحيث يكسر حاجز الاعتياد في البنية الذهنية، وينفتح التّأويل، فحين نسمع أحدهم يقول : ((فاطمة قصيدة)) أو ((محمد شعلة)) ، يتبادر للذهن أكثر من تأويل محتمل؛ لأنّ التعبير جديد ومختلف عن المألوف.

ما تقدم يحيلنا لمفهوم الاقتران اللفظي collocation ، ويقصد بهذا المفهوم اللّغويّ ((المصاحبة الاعتيادية لكلمة ما في اللّغة بكلمات أخرى معينة ، مثال ذلك كلمة (طويل) التي يمكن أنْ يتكرر اشتراكها مع كلمات: رجل، ونبات، وطريق ولكنها تستعصي على الاقتران أو الاشتراك مع كلمة جبل فلا يمكن أنْ نقول : جبل طويل، ولكن يجب أنْ نقول : جبل عالٍ أو شاهق))[21]، وعلى أساس الاقتران التركيبي المرتبط بالسياقات اللغوية تتحدد الحقول الدّلاليّة للمفردات.

**ضوابط الاقتران :**

يحدد اللسانيون المحدثون ضوابط للاقتران، تتمثل بالاتي :[22]

أ- توافقية الاقتران : ويقصد بها توافق الكلمات بعضها مع بعضها الآخر، وتعتمد هذه التوافقية على معلوماتنا اللّغويّة (الحصيلة اللّغويّة/الذخيرة)، ومثال ذلك أنّ كلمة (شاهق)، لا تتفق مثلا مع كلمة (رجل) بل تتفق مع كلمة أخرى مثل (جبل)، فنقول : جبل شاهق : أما كلمة (طويل) فتتفق مع كلمة (رجل) فنقول : رجل طويل . كذلك لا نقول : رجل جميل، لأنّ هذه الكلمة لا تتفق مع كلمة رجل وانما تتفق مع كلمة امرأة ، فنقول : امرأة جميلة، كما نقول : رجل وسيمٌ.

ب- مدى الاقتران : ويقصد بذلك المدى الذي يمكن أنْ تستعمل خلاله الكلمة، فالفعل (مات) مثلا يمكن استعماله مع كلمات مثل : انسان أو حيوان أو نبات فنقول : مات فلان ومات الكلب وماتت الصفصافة، فكلمة (مات) تتمتع بمدى واسع wide range في الاستعمال ، أي يمكنه المجيء مع أكثر من كلمة.

ت- تواترية الاقتران : ويقصد بذلك أنّ الاقتران اللفظي يمتلك نوعا من التواتر المتلازم لبعض الكلمات التي لا يمكن أنْ تتغير أو تتبدل و لا علاقة في ذلك بقواعد اللّغة وانما يعود الأمر لاتفاق المتكلمين باللغة واصطلاحهم، فنقول في العربية : طاف حول الكعبة، وسعى بين الصفا والمروة، ولا يمكن أنْ نقول : سعى حول الكعبة وطاف بين الصفا والمروة.

أما الاقتران غير العادي " unusual collocation " أو غير المتوقع فيرتبط هذا الاقتران بخصوصية الاجناس النصية ومبدعيها سواء أكانوا سرديين أم شعراء،[23] ويسمح الجنس الشعري بخرق المعهود من الاقترانات ؛ لأنّ الشعر قائم على التصوير المبتكر عبر الاقترانات الجديدة بين الألفاظ والحقول الدّلاليّة ؛ إذ إنّ ((بعض الإشارات ذات التمثيل البحت تستطيع أنْ تعمل خارج كل تواضع مسبق ، وهذه حالة الشعريات ؛ لأنها أنساق مفتوحة وخالقة لمعانٍ جديدة))[24]، مع ذلك يجب التنبيه على أنّ الاختيار المعجميّ وخرق قانون الاقتران الإلزامي القائم على التواضع واللجوء إلى التّراكيب المجازيّة يشمل الاستعمال اللّغويّ العادي أو اليومي والاستعمال الأدبي ، فـ((الاختيار يوجد في اللّغة الجارية أو لغة الحديث ، وإن لم يكن سمة مميزة لها كما هو في اللّغة الفنية ، في حين أنّ الانحراف يخص اللّغة الفنية ، وهذا منطقي ، إذ الخروج على الطرق المتعارفة في التعبير معيب اجتماعيا ، ولكنه مقبول إذا كان له غرض فني))[25]، لأنّ الاستعمال الأدبي مختلف في هدفه وأغراضه عن الاستعمال العادي اليومي ، وفي طريقة التواصل والتأويل أيضاً ، في حين ((يحرص الخطاب العلمي، أو النثر العادي غاية الحرص على التقيد بما تواضع عليه أهل اللّغة في حين يقوم الخطاب الأدبي عامة ، والشعري خاصة على التخلي بعض الشيء عن هذه المواضعات متحولاً بلغته إلى خلق جديد مغاير لما عليه أصول اللّغة في النثر العادي))[26]، فحرية الاختيار مفتوحة في الاستعمال الأدبي ، في حين يظل الاستعمال العادي مقيداً بقيود التواضع اللّغويّ، ويزداد التقييد بالنسبة للخطاب العلمي باستعماله للمصطلحات العلمية بدقة.

من ذلك يتوضح أنّ الاختيار للمفردات من لدن المتكلم واقترانها ببعضها خاضع لاشتراط أولي يتمثل في أساس الوضع اللّغويّ والحقيقة ، إذ إنّ نسبة الطيران للطائر مرتبطة بالوضع اللّغويّ من جهة وبالحقيقة الواقعية من جهة أخرى ، أما نسبة الطيران للقلب فعلى الرغم من أنّ التواضع اللّغويّ بعد مرور العصور أقرّها لكنها بدءاً لم تكن واردة ، وكذلك لا تنطبق على الواقع، ومع ذلك يشترط في نقل لفظة من مجال دلالي إلى مجال دلالي آخر اشتراطات تتمثل في المسوغات والقرائن مع مبدأ التلاؤم والتأثير الجمالي للاقتران الجديد؛ لذلك قيل (( إذا كان الاختيار بين كلمات من حقول دلالية لا تآلف بينها في الحقيقة الوضعية، وبمعنى آخر لا تستجيب لعلاقات نحوية معينة بينها وبين بعضها ، فلا تصلح للاسناد أو الاتباع أو الاضافة أو غير ذلك، فإما أنْ تكون هناك قرينة تسوغ هذا الاختيار ، وبذلك يكون الكلام مقبولا ، أو صحيحا نحويا أو دلاليا، ويدخل في هذه الحال تحت باب المجاز اللّغويّ بفروعه))[27]، وبذلك يتبين أنّ اللّفظة تشكل مع الكلمات التي تقترن بها حقلا دلاليا خاصا ، وهذا الحقل الدّلاليّ ينطلق من بنية ذهنية تجمع المتشابهات في أنساق منظمة بغية استعمالها بسهولة ويسر في أثناء انشاء الكلام ، وقد قدّم مفهوم الحقل الدّلاليّ خدمات جليلة إلى الدراسات المعجمية، فتحديد المجال الدّلاليّ يقتضي البحث عن بنية معينة في ميدان الدلالات ، وبشكل عام فإنّ المجالات الدّلاليّة تنطلق من مجال ذهني، والمعجمية تلجأ إلى وسائل لغوية تتيح امكانية توضيح العلاقات القائمة بين العبارات المأخوذة عن مجال ذهني معين.[28]

وبذلك فالبعد المعجميّ يفرض قوانينه في مسألة اختيار الألفاظ واقترانها بعضها ببعض؛ لأنّ ((المعجم عبارة عن قواعد وقيود تعوّض المقولات التركيبية وفق قواعد الادماج))[29]، لكن ((المعجم لا يتألف فقط من مجموعة منتهية من الكلمات، ولكنه "منفتح" و"منتج" بالأساس))[30]، فعبر التّراكيب المجازيّة يتم إغناء المعجم وابتكار معانٍ جديدة لم تكن متداولة في الاستعمال.

وبذلك يلتزم المتكلم في أثناء إنشاء الخطاب أو النص قواعد المعجم الذهنية؛ إذ يذهب علماء اللّغة إلى أنّ اللّغة حدث اجتماعي بالدرجة الأولى، استناداً إلى رؤية دوركهايم حول (الوعي الجمعي)، فاللغة وجود مستقل عن وجود كل واحد من الاشخاص الذين ينطقون بها رغم أنه ليس لها أي وجود خارج المجموعة التي يتكون منها الاشخاص،[31] فالأشخاص يستعملون النظام اللّغويّ بكل أبعاده النحوية والصرفية والمعجمية وفقاً للنظام الذهني اللّغويّ عند الافراد في البيئة اللّغويّة الواحدة، و((ينبغي أنْ يستخدم هذا الفرد مفاهيم استخدام اللسان نفسها التي يستخدمها الأعضاء الآخرون المنتمون إلى المجموعة اللّغويّة نفسها، من دون التماثل في الاحساس والفهم ، تغدو إمكانية الاتصال مستحيلة))[32]، ويكتسب الفرد النظام اللّغويّ الذهني اكتسابا منذ الطفولة ويستمر هذا الاكتساب ويتجدد مع الزمن وتغيرات اللّغة والاستعمال عند الفرد.

ويذهب تشومسكي إلى أنّ اللّغة البشرية نظام بالغ التعقيد ومعرفتها أمرٌ ينم عن إنجاز ذهني عجيب ؛ إذ يكتسب الطفل الاعتيادي هذه المعرفة بتعرضه الوجيز نسبيا للغة وبلا تمرين خاص، وبعد ذلك يستطيع بلا جهد يذكر أنْ يستعمل بناءً معقداً ذا قواعد محددة ومبادئ مرشدة ليعبر عن أفكاره ومشاعره للآخرين،[33]وهذا يعني أنّ المتكلم يدرك مستلزمات الاقتران بين (جبل) و (شاهق) وليس (طويل) ذهنيا وليس بالاعتماد على المعجمات، لأنّ المعجمات ثمرة جهد معياري حدد بعضاً من مظاهر بنياتها ، فهي أرشيف لسياقات جامدة وموحدة.[34]

**الاختيار وتوليد الدلالات الجديدة**

وعلى الرغم من قيود النظام النّحويّ والصرفي والمعجمي فإنّ القصديّة ليست ثابتة في الجمل، وكذلك المعنى؛ وإنما تخضع للسياقات التداولية ؛ لذلك قيل : (( من المستحيل إيجاد جمل جامدة مسبوكة على نمط واحد ودالة على معنى واحد في ذات الوقت وفي كل حين))[35]، فالمتكلم قد يستعمل الجملة نفسها في موقف الجد أو المزاح ويتغير قصده بالنظر للموقف التي قيلت فيه، في حين تحدد المعجمات المعيارية* المعنى الأولي الثابت للمفردة مع حدود الاقتران مع الفاظ من الحقل الدّلاليّ وعدم خرق هذه الحدود، في حين أنّ الاستعمالات تخرق هذه الحدود وحسب لايكوف فإنّ ((لواضعي القواميس والمختصين في المعنى هموما تختلف عن همومنا ، فنحن نهتم أساساً بالطريقة التي يفهم بها الناس تجاربهم ، وننظر إلى اللّغة باعتبارها مصدرا للمعطيات التي يمكن أنْ تقود إلى مبادئ عامة بصدد الفهم، والمبادئ العامة تستلزم أنسقة كاملة من التصورات وليست كلمات أو تصورات فردية))[36]، في حين أنّ القوانين المعجمية تفرض على المتكلمين الالتزام بضوابط الاقتران والاختيار للمفردات ؛ إذ إنّ ((كل كلمة مفردة منطوقة لها دلالة أولية وتنتمي إلى حقل دلالي أو مجال دلالي معين ، وهذه الحقول الدّلاليّة مصنفة في عقول أبناء اللّغة المعنية باعتبارات مختلفة – أياً كانت الطريقة التي يختزن الذهن بها هذه المفردات – فهناك تصنيف باعتبار الدّلالة فيتكون من مجموع عدد من الكلمات ما يسمى الحقل الدّلاليّ semantic field أو الحقل المعجميّ lexical field))[37] ، فالمتكلم ليس حراً حرية تامة في اختياره للمفردات وضم بعضها إلى بعضها الآخر وفق النظام النّحويّ فحسب ، وإنما يخضع الاختيار من المعجم لمسألة توافقية الاقتران ، ويمكن أنْ يخرق قانون الاختيار المرتبط بالتعاقد اللّغويّ والحقول الدّلاليّة لأسباب وبشرط ، ويرى الدكتور محمد حماسة أنّ((كسر قانون الاختيار بين المفردات بالطريقة المسموح بها لا يسوغه إلا فهم المخاطب))[38]، أي إنّ فهم المقصود من الاقتران الجديد يسوغ للمتكلم أنْ يستعمل ما يريده ؛ وربما يشترط شيء آخر هو التلاؤم والجمالية في الاقتران الجديد بحيث لا يظهر فيه النشاز؛ لأنّ بعض الاستعمالات الجديدة في مجال الاقتران بين حقول دلالية وحقول أخرى في مجال الأدب لم تستقبل بالترحاب لعدم ملاءمتها للذائقة.

ويرتبط بفهم المخاطب أو السامع مسألة أنّ النظام اللّغويّ يسير على نمط مألوف بالنسبة للسامع، هذا النمط خاضع للقوانين من ضمنها قانون الاختيار ، لذلك اشترط فهم المخاطب لخرق قانون الاختيار أو الاقتران الإلزامي إذ((لايفهم المخاطب ذلك إلا إذا كان هذا التجوز أو كسر الاختيار من العرف اللّغويّ أي من سليقة المتكلم والمستمع معاً وكفاية كل منهما اللّغويّة ، وهذا هو الجانب الابداعي في اللّغة))[39]، وهنا يرتبط الفهم بمسألة مراعاة كفاءة المستمع، وكذلك بجعل خرق معيارية الاقتران، وتكوين اقترانات جديدة مرتبط بالإبداعية اللّغويّة ، وهذا يحيلنا لمسألة التوليد الدّلاليّ الذي يسعى له المبدعون اثناء انشاء نصوصهم الابداعية، على ذلك ((مادام التوليد الدّلاليّ مرتبطاً بظهور دلالات جديدة للوحدات المعجمية، أي بالتعدد الدّلاليّ؛ فإنّ أيّة نظرية للدلالة المعجمية تطمح إلى رصد مثل هذه الظواهر يجب أنْ تتضمن وسائل لتحديد العلاقات الدّلاليّة بين المداخل المعجمية الواردة، ورصد التمييز بين الوحدة المفردة ذات المدخل المعجميّ الواحد، والوحدة المتعددة الدّلالة، التي ترتبط بأكثر من مدخل))[40]، وربّما باستعمال المفردة ذات المدخل المعجميّ الواحد باقتران جديد يمنحها دلالة أخرى، إذ إنّ ((دلالات الألفاظ كما نجدها في المعجم مجرد نقطة انطلاق لسلسلة بحث لا نهائي عن المعنى الذي يتعدد ويختلف باختلاف السياقات والنصوص))[41] ، ومن ذلك نفهم لماذا يستعمل المبدعون الكلمات في اقترانات جديدة؛ لأنها تولد دلالة جديدة أولاً وعدم قدرة الاقترانات القديمة على التعبير عما يريده المبدع، وكذلك لأنّ الاقتران الجديد يوافق الذائقة الجمالية ويضفي نوعاً من الحداثة التي تحفز التأمل في التّركيب الجديد.

وتوليد الدّلالة من الاقترانات الجديدة ليس مفتوحاً بدون نهاية، وإنما قائم على وجود ارتباطات دلالية بين المفردات تسمح بذلك، في حين تمنع بعض التناقضات الدّلاليّة بين المفردات من اقترانها مع بعضها الآخر، ومن هذه الفكرة ينطلق الدكتور محمد مفتاح لتحليل (الشيخوخة استقرار) كالآتي :[42]

الشيخوخة [+الضعف]، [+التلبث] ، [+ضآلة الملاذ]

استقرار [+التلبث]، [+ضيق المجال]، [+عدم المغامرة] ، [+احتمال ضآلة الحصول على منافع]

فبين الكلمتين أكثر من جامع [+التلبث]، و [+احتمال ضآلة الحصول على منافع]، وبذلك يتوفر اشتراط التوافق الدّلاليّ للاقتران الجديد.

ويجب أنْ نأخذ بالنظر أنّ الاقترانات الجديدة بعد مرور مدة زمنية تصبح اعتيادية وتدخل ضمن النسق المعجميّ، ولا يلاحظها المستمعون على أنها تخرق النمط الإلزامي للاقتران المعجميّ، كما في قول ( غرق محمد في التفكير )...

**النتائج**

إن دراسة الاقتران التركيبي وضوابطه وحدوده في المستويات اللغوية مختلف من مستوى لآخر، ففي حين يتسم المستوى التركيبي بحرية التقديم والتأخير إلا أنه لا يسمح بخرق النظام النحوي خارج إطار قواعده المقننة بدقة، وكذلك في المستوى الصرفي، في حين أن المستوى المعجمي فيه مرونة تتعلق بالاختيار واقتران بعض الألفاظ من حقول دلالية مع حقول دلالية أخرى بعيدة عنها أو قريبة، وهذه المرونة في الاختيار تسمح باقترانات تركيبية جديدة لغايات دلالية وجمالية ، وقد قاربتْ الدراسة مسألة الاقتران التركيبي وحدود الاختيار بالنسبة للمتكلم فأفضتْ إلى النتائج الآتية :

1. أن المتكلم خاضع لأنظمة مختلفة في أثناء التكلم، تتعلق بالمستويات اللغوية من صرفية ونحوية ودلالية ومعجمية ومن أنظمة اجتماعية وثقافية، بحيث يخضع لضوابطها ويسير وفق قوانينها وقواعدها.

2. أن مسألة الاقتران وخرقه عبر المجاز والانزياحات خاضع لضابط الملاءمة والانسجام، إذ يشترط في المجازات الجديدة أن تكون ملاءمة ومتسقة وجمالية.

3. أن الاختيار الذي يتمتع به المتكلم في أثناء الكلام يتمثل في جانبين: الأول النحوي: إذ يكون أمام قواعد وأنظمة نحوية تسمح بقليل من الحرية في مسألة الاقتران تتمثل في التقديم والتأخير، والثاني : المعجمي : ويكون أمام المتكلم حرية أوسع في الاختيار للمفردات المعجمية وقرن مفردة من حقل دلالي مع حقل دلالي آخر.

4. أن الاقترانات المعجمية الجديدة التي تنتج عن استعمال المتكلمين عبر المجاز والانزياحات تسهم في نمو اللغة وثرائها وإضفاء جماليات جديدة للاستعمال اللغوي وتوليد دلالات جديدة.

5. أن استعمال المتكلم لاقترانات جديدة لغايات مختلفة، لعلّ أظهرها توليد دلالات جديدة أو للتعبير عن الاحاسيس والمشاعر بطريقة مختلفة، أو لإضفاء جمالية بلاغية أسلوبية.

6. أن تأويل الاقترانات الجديدة يتم عبر البحث في العلاقة بين دلالة المفردتين المقترنتين، مع الأخذ بالنظر أن الاقترانات المجازية هدفها توليد الدلالات وانفتاح التأويل.

7. أن استعمال الاقترانات الجديدة وخرق إلزامية الاقتران المعجمي يرتبط بالجنس الشعري أكثر من ارتباطه بالاستعمال اليومي العادي للغة.

---

1 الخصائص :36/1

2 الانزياح مفهوم أسلوبي يقصد به "استعمال المبدع للغة مفرداتٍ وتراكيبَ وصوراً استعمالاً يخرج بها عمّا هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرّد وإبداع وقوّة جذب وأسر" الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية : 7

3 ينظر : مقدمة إلى علم الدّلالة الألسني : 61

4 ينظر : مسالك الدّلالة : 87

* نقصد به المعجم الذهني الموجود في أذهان أفراد المجتمع الواحد.

5 مقاربات لسانية في كتاب سيبويه : 49

6 ينظر : الأبعاد التأويلية والمفهومية للدلالة المعجمية : 111

7 ينظر : المصدر نفسه : 112

8 ينظر : المصدر نفسه : 111

9 ينظر : علم الدّلالة لبالمر : 87

10 التحليل الدّلاليّ : 42/1

11 معايير تحليل الاسلوب : 26

12 ينظر : مدخل إلى علم الدّلالة : 180

13 ينظر : المصدر نفسه : 169

14 ينظر : المصدر نفسه : 173

15 ينظر : الانزياح من منظور الدراسات الاسلوبية : 72

16 ينظر : مقدمة إلى علم الدّلالة الألسني : 59

17 النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النّحويّ – الدّلاليّ : 104

18 الانزياح من منظور الدراسات الاسلوبية : 78

19 علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي : 276

20 النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النّحويّ – الدّلاليّ : 50 – 51

21 معجم اللسانيات الحديثة : 21

22 ينظر : معجم اللسانيات الحديثة : 21 ، والتحليل الدّلاليّ : 1 / 42-43

23 ينظر : التحليل الدّلاليّ : 42/1

24 علم الإشارة السيميولوجيا : 57

25 الانزياح من منظور الدراسات الاسلوبية : 78

26 في التشكيل اللّغويّ للشعر مقاربات في النظرية والتطبيق : 14

27 النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النّحويّ – الدّلاليّ : 97

28 ينظر : مقدمة إلى علم الدّلالة الألسني : 6

29 الأبعاد التأويلية والمفهومية للدلالة المعجمية : 60

30 الصواتة المعرفية والمسارات الذهنية للانجاز اللّغويّ : 67

31 ينظر : توطئة لدراسة علم اللّغة ، التعاريف : 70

32 مقدمة في علم الدّلالة الألسني : 68

33 ينظر : محاضرات ودن ، تأملات في اللّغة : 15

34 ينظر : فنون النص وعلومه : 105 في الهامش

35 توطئة لدراسة علم اللّغة التعاريف : 78

* نقصد بالمعجمات المعيارية المعجمات التي تجمع سياقات الاستعمال وتبين معنى المفردة دون أن تنظر إلى اختلاف مقامات الكلام من حيث الرسمية أو غير الرسمية ، أو من حيث الجد والمزاح .. الخ

36 الاستعارات التي نحيا بها : 128

37 النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النّحويّ – الدّلاليّ : 88

38 المصدر نفسه : 88

39 المصدر نفسه : 88

40 التوليد الدّلاليّ في البلاغة والمعجم : 71

41 التحليل الدّلاليّ : 1 / 9

42 ينظر : مجهول البيان : 47

**المصادر والمراجع**

1. الأبعاد التأويلية والمفهومية للدلالة المعجمية ، د.عبد السلام عيساوي ، مركز النشر الجامعي – المغاربية لطباعة وإشهار الكتاب ، ط1 2009م
2. الاستعارات التي نحيا بها ، جورج لايكوف ومارك جونسن ، ترجمة : عبد المجيد جحفة ، دار توبقال للنشر ، ط2 2009م
3. الانزياح من منظور الدراسات الاسلوبية ، د.أحمد محمد ويس ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع– بيروت ، ط1 2005م
4. التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه ، الدكتور كريم زكي حسام الدين ، دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة ، ط1 2000م.
5. توطئة لدراسة علم اللغة ، التعريفات ، تأليف : د.التهامي الراجي الهاشمي ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)– بغداد ط2 1986م
6. التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم ، د.محمد غاليم ، دار توبقال للنشر– الدار البيضاء ط1 1987م
7. الخصائص ، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة– بغداد ، ط4 1990م
8. الصواتة المعرفية والمسارات الذهنية للانجاز اللغوي ، اعداد وترجمة : د.مصطفى بوعناني ، تقديم : د.مبارك حنون ، عالم الكتب الحديث– الأردن ، ط1 2013م
9. علم الاشارة السيميولوجيا ، بيير جيرو ، ترجمة : د.منذر عيّاشي ، دار طلاس – دمشق ، ط2 1992م
10. علم الدلالة ، اف .أر.بالمر ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة ، الناشر الجامعة المستنصرية 1985م.
11. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي الدكتور محمود السعران دار النهضة العربية . بيروت.
12. فنون النص وعلومه ، فرانسوا راستيي ، ترجمة : ادريس الخطاب ، دار توبقال للنشر– الدار البيضاء– المغرب ، ط1 2010م
13. في التشكيل اللغوي للشعر مقاربات في النظرية والتطبيق ، د.محمد عبدو فلفل ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق ، ط1 2013م
14. مجهول البيان ، د.محمد مفتاح ، دار توبقال للنشر – الدار البيضاء المغرب ، ط1 1990م
15. محاضرات ودن ، تأملات في اللغة ، تقديم جومسكي ، ترجمة : د.مرتضى جواد باقر ود.عبد الجبار محمد علي ، مراجعة د.عبد الباقي الصافي ، دار الشؤون الثقافية– بغداد ط1 1990م
16. مدخل إلى علم الدلالة ، فرانك بالمر ، ترجمة : د.خالد محمود جمعة ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع– الكويت ، ط1 1997م
17. مسالك الدلالة في سبيل مقاربة المعنى ، د.صابر الحباشة ، دار ومكتبة عدنان – بغداد ط1 2013م

18. معايير تحليل الأسلوب : ميكائيل ريفاتير , ترجمة : حميد لحمداني ، منشورات دراسات الدار البيضاء، ط1 1993م
19. معجم اللسانيات الحديثة ، د.سامي عياد حنّا و د.كريم زكي حسام الدين و د.نجيب جريس ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، ط1 1997م
20. مقاربات لسانية في كتاب سيبويه ، د.لطيف حاتم ، دار الرائي للنشر – دمشق ، ط1 2010م.
21. مقدمة إلى علم الدلالة الألسني ، هربيرت بركلي ، ترجمة : د.قاسم مقداد ، دار نينوى – دمشق ، ط1 2013م
22. النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي– الدلالي ، د.محمد حماسة عبد اللطيف ، دار الشروق– القاهرة ، ط1 2000م.